رشَا الأمير

دانيال قطّار   عَلي عَاصي



دار الجــــديد

رشا الأمير

دانيال قطّار علي عاصي



دار الجديد

دَار الجـــــديد

نصّ: رشا الأمير
رسوم وتصميم: دانيال قطّار
خطوط: علي عاصي

أيادٍ بيضاء: الأستاذ خليل رامز سركيس لتوجيهه اللغوي. لارا قبطان للمساهمة في الإخراج. محمود عسّاف للعناية اللغوية. سوزان عليوان لفكرة «أنا هويت وابتديت».كمال قصّار للإرشـاد الموسيقي.

ISBN: 978-9953-11-084-4

الطبعـــة الثانيـــــــة ٢٠٢٠

العنوان: دارة محسن سليـم، حارة حريك، لبنان

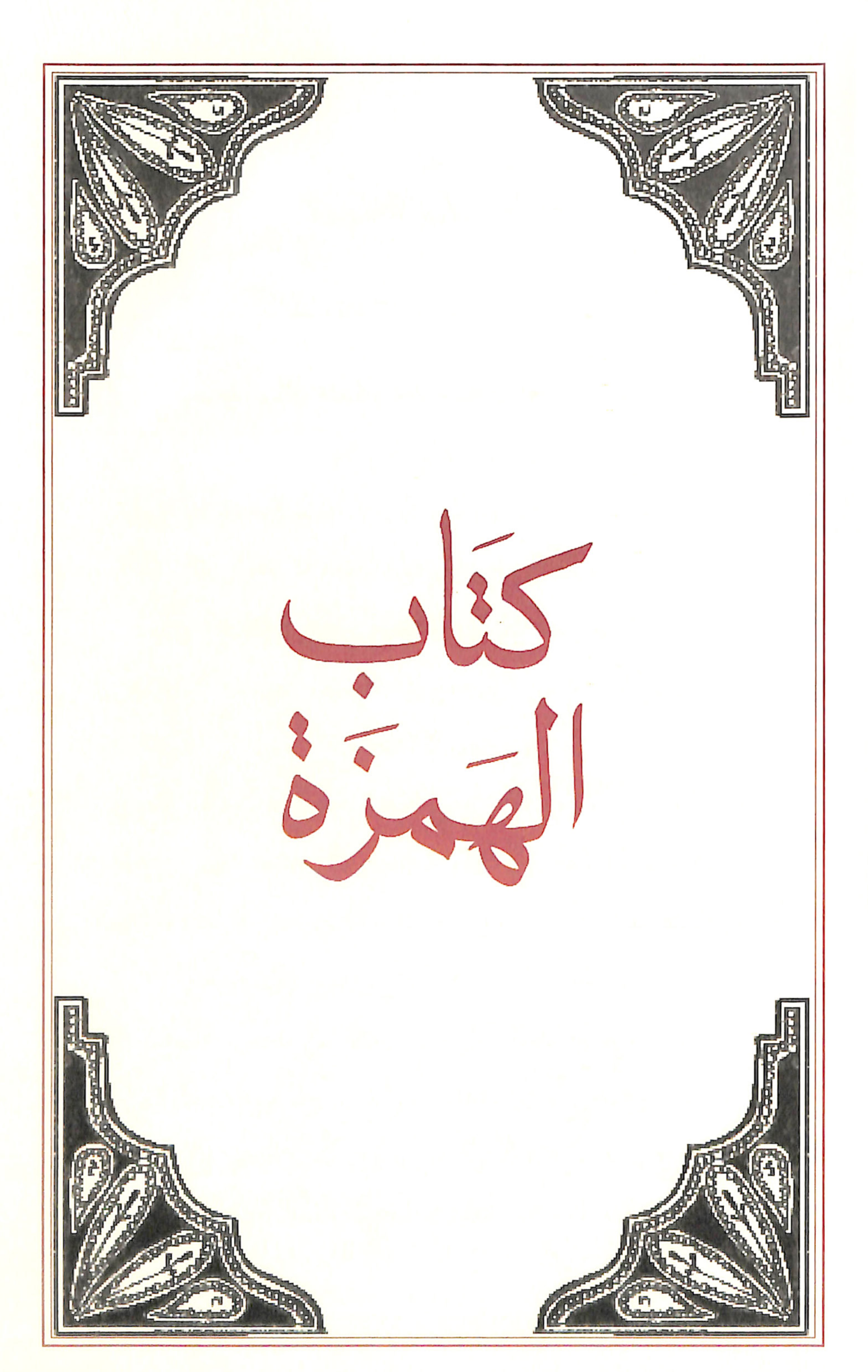
صنـــدوق البريـــد: ٥-٢٥ الغبيري

بيـــروت - لبنــــــان

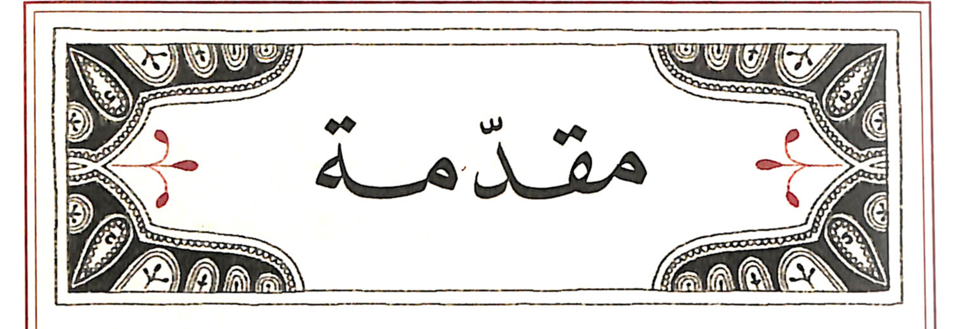
هاتـــــف: ٦٠٥ ٥٥٣-١-٩٦١

www.dar-al-jadeed.com

daraljadeedbeirut@gmail.com



كتاب الهمزة



مقدّمة

هذا كتاب عزيز على قلب صاحبته؛ وضعته بقالب قصصيّ لاهٍ كي تؤنس وتمتّع وتفيد من عانى ويعاني من جهامة دروس القواعد في لغة، لا غرابة أن نقف ونبكي على ما آلت إليه أو قد تؤول.

يوم وصلتُ تلميذةً إلى حِياض هذه اللغة، لم يخطر ببالي البتّة أنّني ذات يوم سأهتمّ كلّ الاهتمام بدقيق قواعدها، وأنّني سأتحمّس للدِّفاع عن أوّل حروفها، الهمزة، المدخلة الإملائيّين في جدل لا انقضاء له.

لمّا دارت بي الأيام، قيّضت لي الأقدار مجالسة العلاّمة اللغويّ الفقيه عبد الله العلايليّ الذي شجّعني على متابعة تفقّهي، وهذا ما حاولته مع أستاذي محمود عسّاف الذي يدين له هذا الكتاب بساعات مديدة من الحنوّ والصبر والتفكّر.

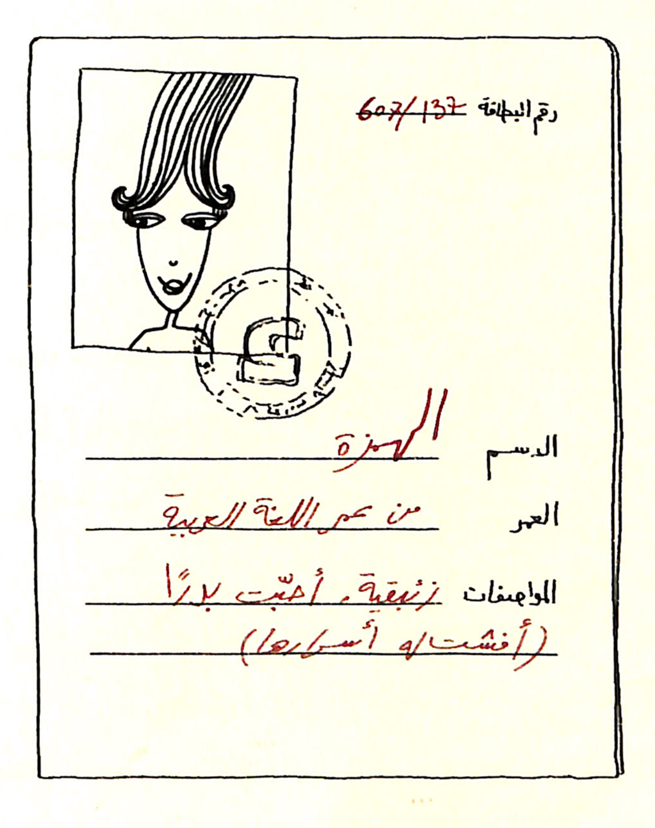
لم أر صديقًا وأستاذًا أكثر جلدًا ودقّة من محمود عسّاف. تحمّلني وهمزتي أشهرًا مديدةً، وواكب، يومًا بيوم، محاولاتي للخروج بهذه القاعدة الأثريّة من بطون كتب النحو والإملاء، إلى رحبة عالمنا المعاصر بتقنيّاته البصريّة الفذّة. أصغيت مليًّا إلى

شروحاته ونصائحه، وله يدين كتاب الهمزة بشكرانٍ لا انقضاء له.
ذات يوم بعيد، كتبتُ مسوّدة كتاب الهمزة، متوهّمة أنّه، وبلا عناء يُذكر، آيلٌ لا محالة للتحوّل كتابًا مصوّرًا، فأخذت أبحث عمّن سيتواطأ معي ويشاركني همومي اللغويّة والفنّيّة. قرعت أبوابًا كثيرة، وتفكّرت طولاً و عرضًا في علاقة شكل الصّفحات بمضمونها؛ وأخيرًا، وبعد حوارات مديدة مع رسّامين ومخرجين، استجابت دانيال قطّار الإنسانة الفذّة لندائي.
معًا جلسنا لساعات مكّنتنا من رسم ملامح الكتاب، صفحة بصفحة، كي يُطلَّ على قرّائه وسيمًا مغريًا للتصفّح. لولا انتخاء دانيال قطّار ومثابرتها وعنادها لما قطعنا أرباع هذا المشروع الخالية. لها منّي جهارًا آيات إعجاب وتقدير.
بدأت أحلم بأن تصير وريقاتي كتابًا، وأنا أعرف أنّ مشاركة الخطّاط الصديق علي عاصي لا تنازل عنها. فهل من كتاب عن القواعد والإملاء لا خطّاط حاضرًا فيه؟ أوليس الخطّ واحدًا من مآثر ثقافتنا؟ هكذا إذًا استقرّ الرأي أن يرسم الخطّاط الفنّان كلام الهمزة خطًّا يدويًّا فتجتمع بين دفّتي الكتاب مواهب جيلين: المخرجة الفنّانة السارحة المارحة في فضاءات حواسيبها، والخطّاط المحلّق على متن ريشته.
الكتاب الماثل بين أيديكم يصل إليكم وقد ائتمنّاه زبدة ما

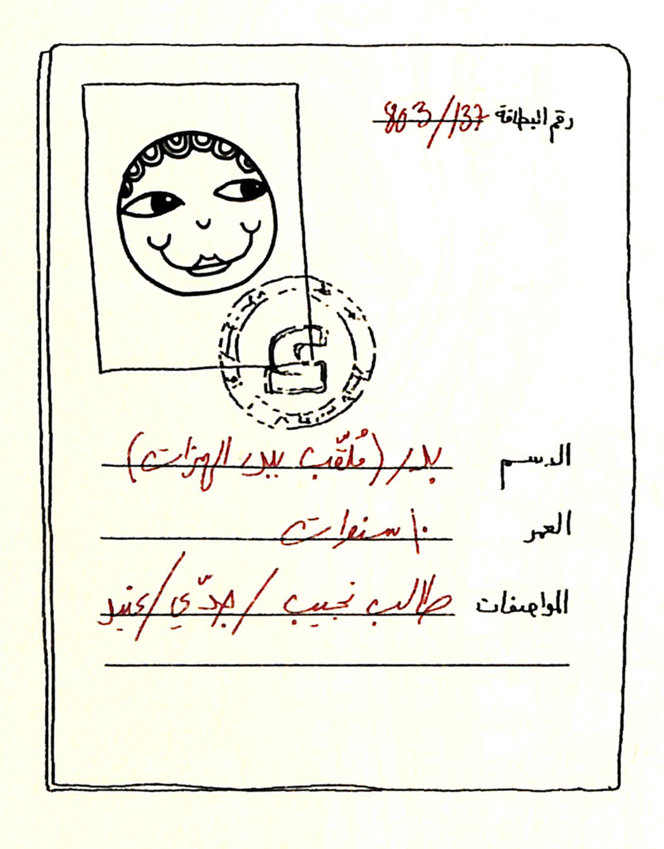
اجتهدناه فريقًا وأفرادًا، فحيث أصبنا لا نسأل أجرًا، وحيث أخطأنا فوحدي أُسأل، راجية أن يصوَّب لي فأستفيد، وأفيد السائرين مثلي على دروب لغة نخطأ إن لم نذد عنها ما دمنا أحياء في ما تبقّى من أكنافها.

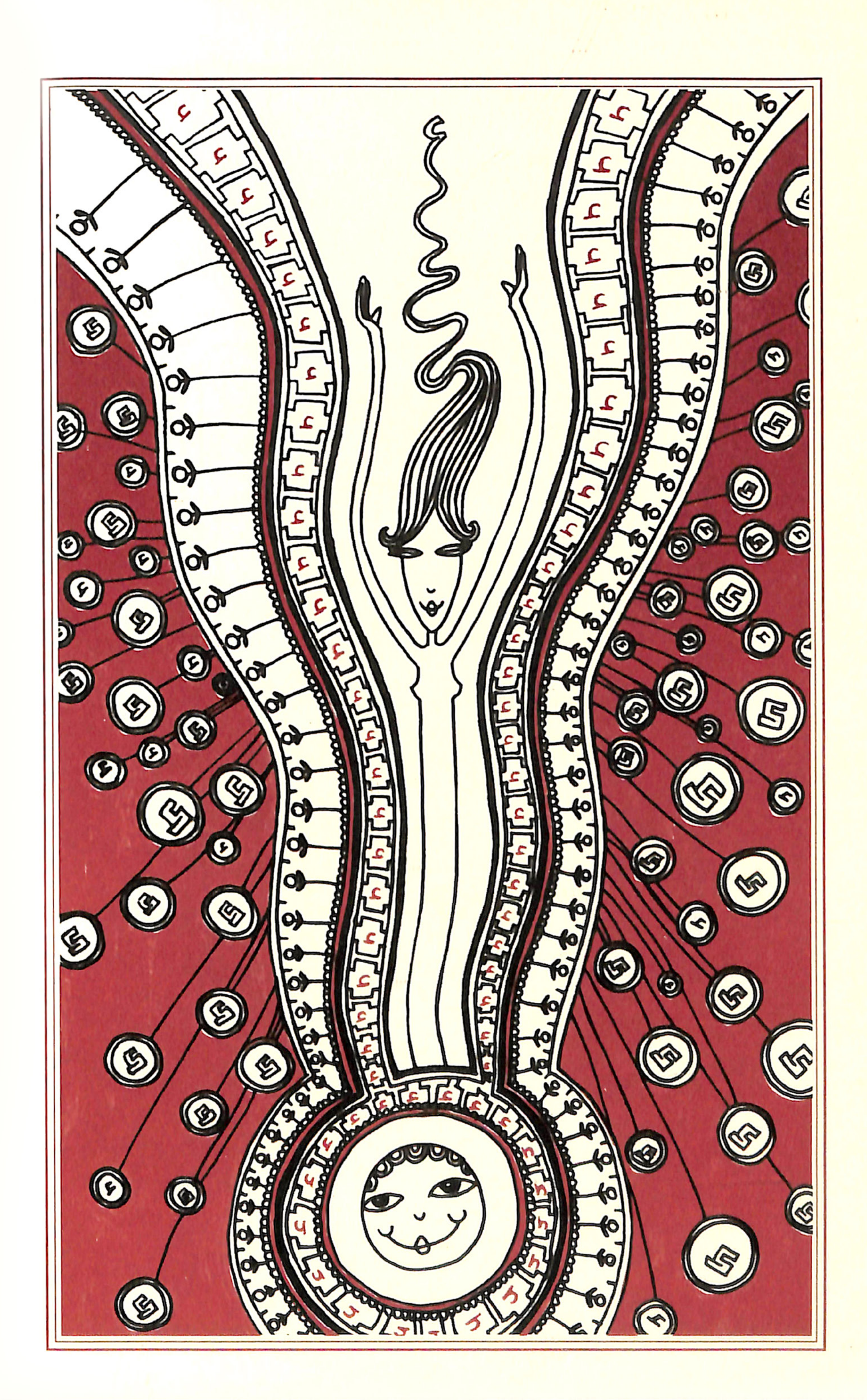
ر. ا. أ.

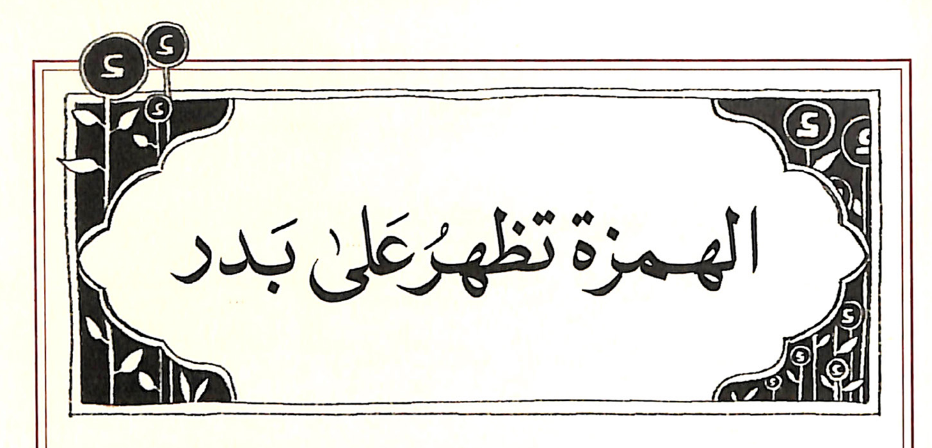
تشرين الأوّل (أكتوبر) ٢٠١١



رقم البطاقة 607/137
الاسم الهمزة
العمر من عمر اللغة العربية
المواصفات زئبقية، أحبّت بلدًا
(أفشت له أسرارها)


رقم البطاقة 803/137
الاسم بدر (ملقّب بين الهزات)
العمر ١٠ سنوات
المواصفات طالب نجيب / جدّي / عنيد





الهمزة تظهرُ علىٰ بَدر

إسمه بدر، وهو اسم على مسمًّى وسامةً وخُلقًا.
لُقِّب ببدر الهمزات؛
مرّة لمّا كتب قواعدها قِصاصًا وأخرى لمّا تعلّقها ودافع عنها.

أمّا هي، فمن هي؟
وشم؟ لغز؟ حرف؟

كثيرًا ما حار في أمرها. صغيرة وفتّاكة في آن. أمّ النزاعات والمشاكل. يا لها من مخرّبة همزته! أصغر حروف الأبجدية، وأكثرها شقاءً وشقاوة.
الكتبة جميعهم يعرفونها.
يعرفونها... أجل، إلّا أنّهم لا يبالون بأمرها ولا يعترفون بها حرفًا مستقلًّا مرهفًا وراقيًا.

يُسقطونها ولا تنكسر. يكتبونها - إن كتبوها - على أمزجتهم،

مستهترين بدقائق قواعدها فتتجهّم. يعذّبونها وكأنْ لا عدوّ غيرها في هذه اللغة الشاسعة الواسعة، فتحزن. تحزن، تكفهرّ وتتدلّل، طالبةً اللجوء العاطفي في أكناف أشعر الشعراء وألذّهم، أكثرهم غزلًا وحنوًّا.

لا تسألوا بدرًا ابن العاشرة، كيف صارت المهذارةُ حبيبتَه بعد صرم. لا ترهقوه بأسئلتكم، فهو متيّم معذّب!
رآها، ليلةً بعد ليلة، وهو منكبّ على فروضه، تتمرجح في دفاتره. يا طالعة يا نازلة، يا طائرة بين الأحرف! سمعها تدندن لحنًا شجيًّا وتقول:

أرأيتَ ما هم فاعلون بي ؟

كلامها بدا له ملغزًّا، ولم يفهم تمامًا كيف ظهرت عليه. بيد أنّه انجذب.
أسرته من استتمّت فتنتها؛ وبلا وعود ولا قرارات مبرمة سار كالمسحور على دروب مغامرتها.



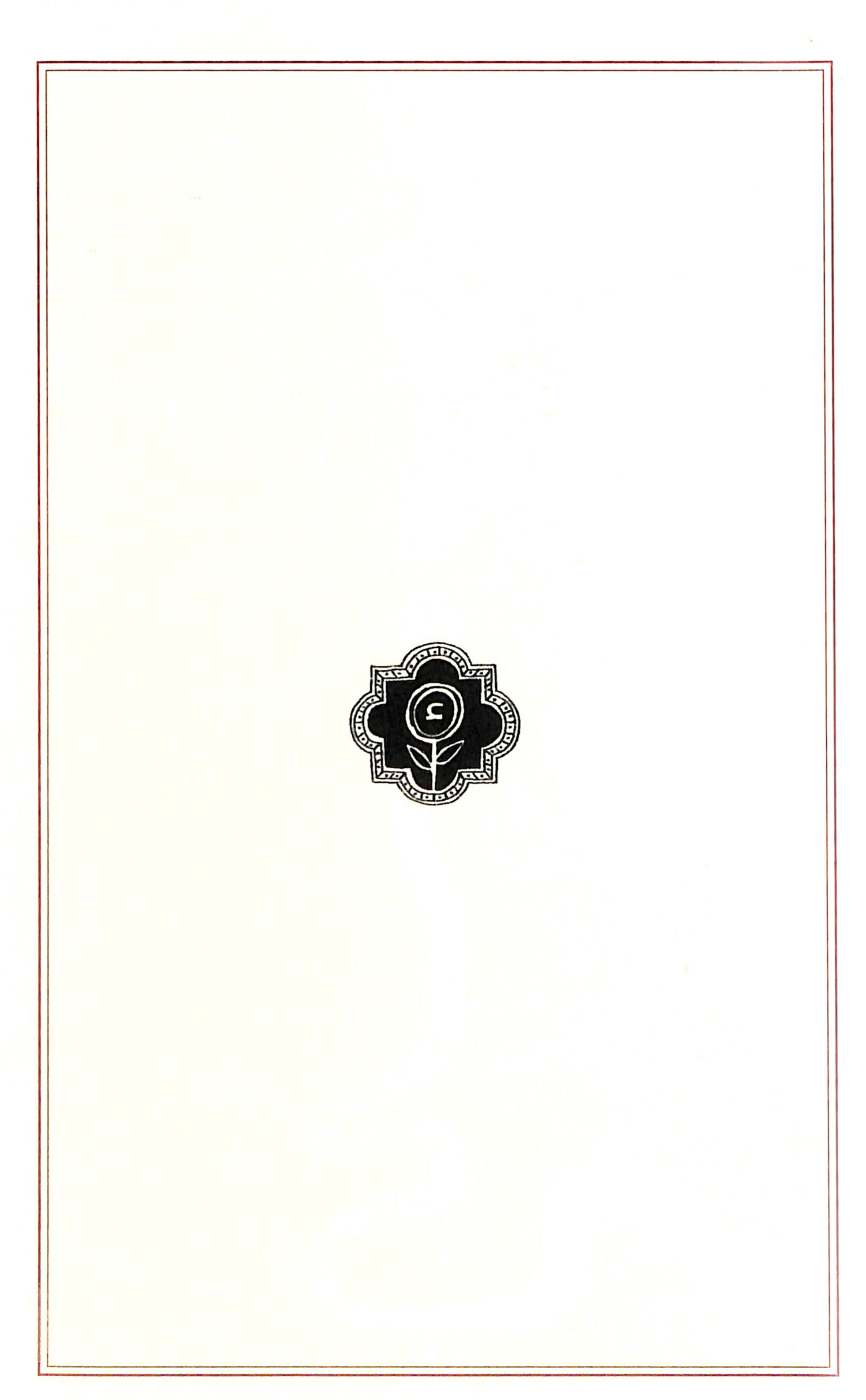
والمساء مقمر، والفروض وجع على القلب، دعته الغريبة بين الأحرف إلى قلب قلبها. فتحت له حميم خزائنها. شكت له همومها، ودعته إلى شعاب أصولها وفروعها:

يقولون إنّني زئبقيّة لدود،
وإنّني مورية فتن. لا، لستُ
كذلك. لست كابوسًا.
كثيرون يعتبرونني لزوم
ما لا يلزم، يُسقطونني،
يشطبونني، ينسَوْنَني،
أأستحقّ، بربّك، كُلَّ هذا
العذاب؟

وثقت الهمزة ببدر لمّا رأته يعاني وهو يكتبها. بثّت له مقالقها، ووعدته بأنّه لن يُخْطِئَ بعد اليوم في كتابتها:

سأخبرك قصّتي. أتريدنا أن نكتب قصّتي معًا ؟

وافق بدر. بهرته الأنيقة الآتية من زمن لغويّ بعيد. أصغى إليها بكلّ جوارحه، ومنذ ذلك اليوم المشهود يسيران معًا.







ليلة الانقلاب على الألف

أتعرف أنّني حرف؟ بتواضع جمّ، أعترف لك أنّني آدم الحروف وحَوّاؤُها. أتعرف أنّ الأبجديّة تبدأ بي؟

قالت له همزته.

لم يصدّق بدر أنّ هذه المنمنمة المسافرة على صهوة رفاقها الحروف هي « آدم الحروف وحوّاؤها ».

فكّر أنّها خَرِفَةٌ ترمي الكلام... جُزافًا.

« لستِ حرفًا على ما أعتقد، أنت عمامة الألف. الأساتذة يقولون: « من الألف إلى الياء. لم أسمع، بعدُ، قائلًا يقول من الهمزة إلى الياء ».

ليست الألف بحرف تامّ. إنّها حرف هاوٍ. هاوٍ ولا تسألني متى هوى. هاوٍ ولا نطق له.

ا

حرف هاوٍ
لا نطق له

وأخذت تدندن:

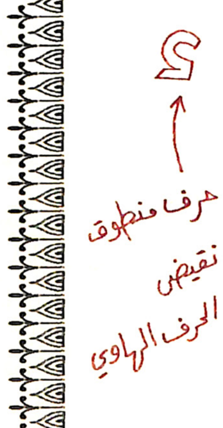
أنا هويت وانتهيت ليه بقا!



أمّا أنا الهمزة!

مابك تفترسني يا أبا العيون
الكحلاء؟ مابك؟ أتتغزّلُ
بك صاحباتك كما أفعل؟

إسمع. أريدك أن تقتنع،
وفورًا، أنّني نقيض الحرف
الهاوي، أنا ناطقة منطوقة.
أليفة بريّة، نزيلة الألف
والواو، وكرسيّ الياء ولا
أخاف حضيض السطور.

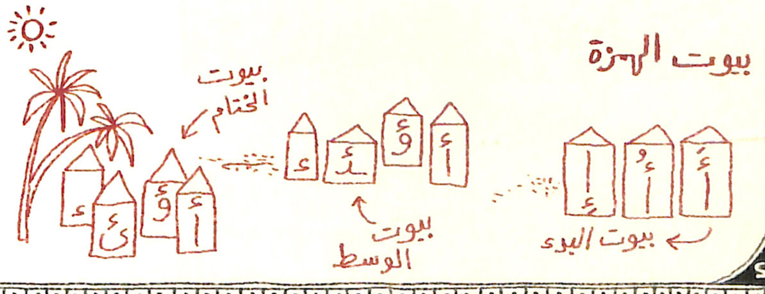


منازلي كثيرة مثل منازلك يا بدر التمام!

أتعرف أنّ للقمر الذي تحمل اسمه ثمانيةً وعشرين منزلاً بعدد أيام الشهر؟

منازل القمر

القمر كوكب قريب من الأرض، زاره الأرضيّون مرارًا محاولين استكشافه. وهو يستمدّ نوره من الشمس ويشرق مؤنسًا ظلمة الليل. وهو قمر بعد ثلاث ليال إلى آخر الشهر، وأمّا قبل ذلك فهو هلال. وهو بدر أيّام تمامه، وسمّي بدرًا لمبادرته الشمس بالطلوع كأنّه يعجّلها المغيب. وليلة البدر ليلة أربع عشرة. أمّا أيّام المُحاق فهي أواخره حين يضمحلّ رويدًا رويدًا فيكاد أن لا يُرى.



المشاكسة صَنعتي ، أُبُدَل
وأُحذَف وأتجوّل وأثير من
حولي فتنًا ونقاشات بين
الكتبة والإملائيّين . لصغر
حجمي ، لخفّتي وظَرفي،
أَستهترَ بيَ المستهترون غير

كثيرًا ما تغزّل أهل الصحراء بالقمر؛ ولأنه مثّل دورًا أساسيًا في حلّهم وترحالهم اعتمدوه قياسًا لأيّامهم وشهورهم، وقُسّمت الأحرف قمريّة وشمسيّة تيمّنًا بهذين الكوكبين.

بيوت القمر

هلال

بدر

مُحاق

الآبهين بتوازن الأكوان
البلّوري.

أريدكَ أن تستردّ لي ألَقي.

أريدك أن تعلن جهارًا
نهارًا أنّني مفتتح الأبجديّة.
أنا البداية وبمسك الياء،
صديقتي الجبّارة، المختتم.

هل أقنعتك؟

أطرق بدر. زائرته الكثيرة الغمز تعبث بقناعاته. ماذا عساه يقول غدًا في المدرسة لكلّ الواثقين بموقع الألف؟

لن يصدّقوه على الأرجح، والتمعت في رأسه فكرة: « هل ستشرحين لي بالحجج نظرياتك هذه »؟

ودندن، وهو يتأمّل كائنته الورقية، متصرّفًا بكلمات الأغنية الشهيرة: « أنا هويت وابتديت، ليه بقا ».



أنا هويت وانتهيت

أنا هويت وانتهيت، دور كتب كلماته الشاعر محمّد يوسف القاضي، ولحّنه وغنّاه وسجّله الموسيقار الفذّ سيّد درويش، فتعلّقه الجمهور، وأخذ يطالب به مطربيه ومطرباته الذين أدّوه بأصواتهم وأصواتهنّ بلا كلالة، عامًا بعد عام، وأداءً تلو آخر، صار أنا هويت مطبوعًا في الضمائر معروفًا ومحفوظًا



بأصوات كلّ من: محمّد البحر(نجل سيّد درويش) ومحمّد عبد الوهّاب وإسماعيل شبانة (شقيق عبد الحليم) وسعاد محمّد ورياض السنباطي وكثيرين وكثيرات غيرهم.

يطلق علماء الموسيقى اسم الدور على القالب الموسيقيّ الذي اختاره الملحّن لهذه الأغنيّة، وأدّى مذهبه وغصنه الأوحد على مقام الحجاز كاركورد؛ وقد ظهر الدور قالبًا موسيقيًا معترفًا به في منتصف القرن التاسع عشر، وبلغ تمامه في القرن العشرين.

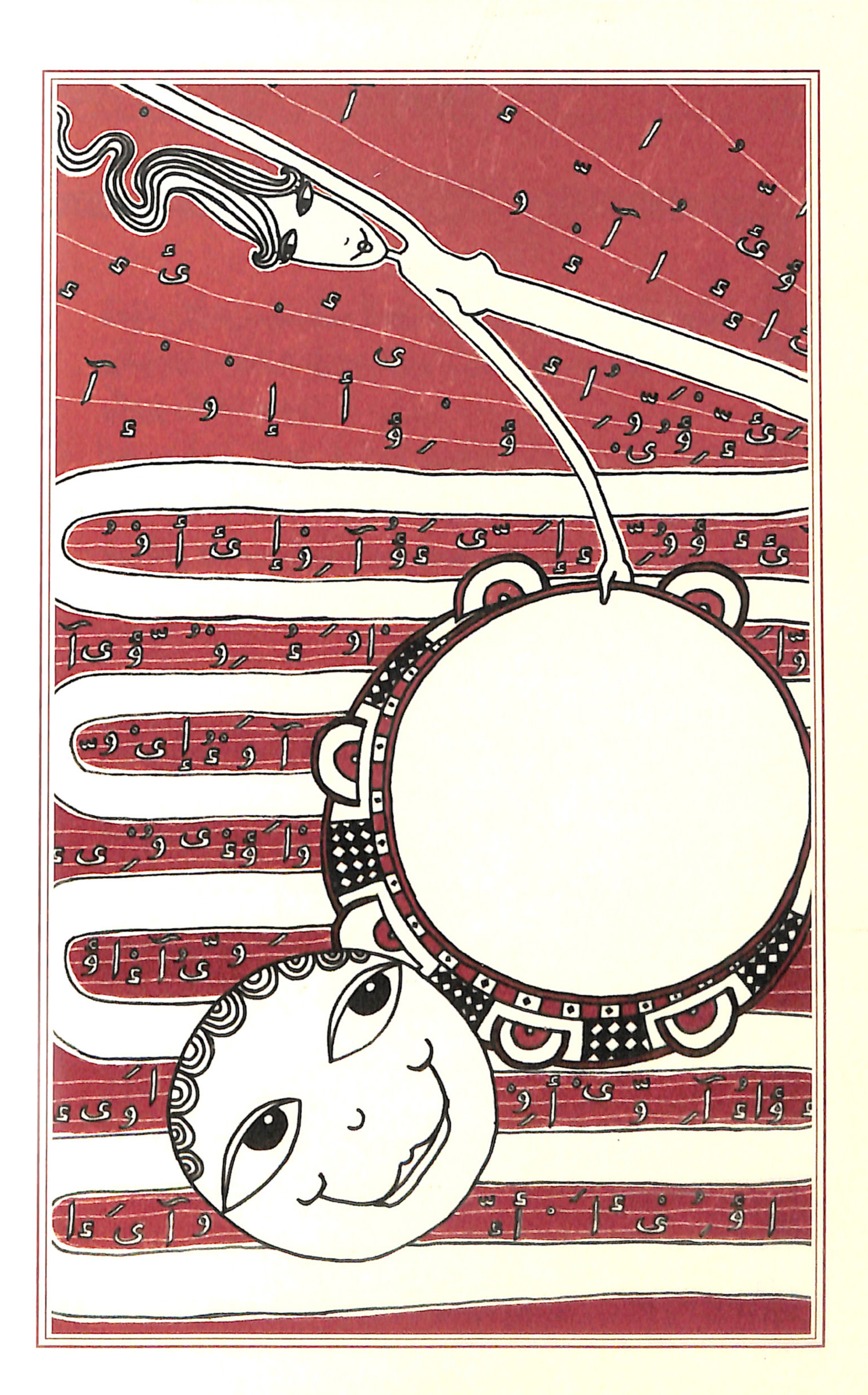
تقول الكلمات

المذهب

أنا هويت وانتهيت — وليه بقا لوم العذول
يحبّ إنّي أقول يا ريت — الحبّ ده عنّي يزول
ما دمت أنا بهجره ارتضيت — خلّي بقا اللّي يقول يقول

الدور

أنا وحبيبي في الغرام — ما فيش كده ولا في المنام
أحبّه حتّى في الخصام — وبعده عنّي يا ناس حرام
ما دمت أنا بهجره ارتضيت — منّي على الدنيا السلام





إسمع يا بدر ،

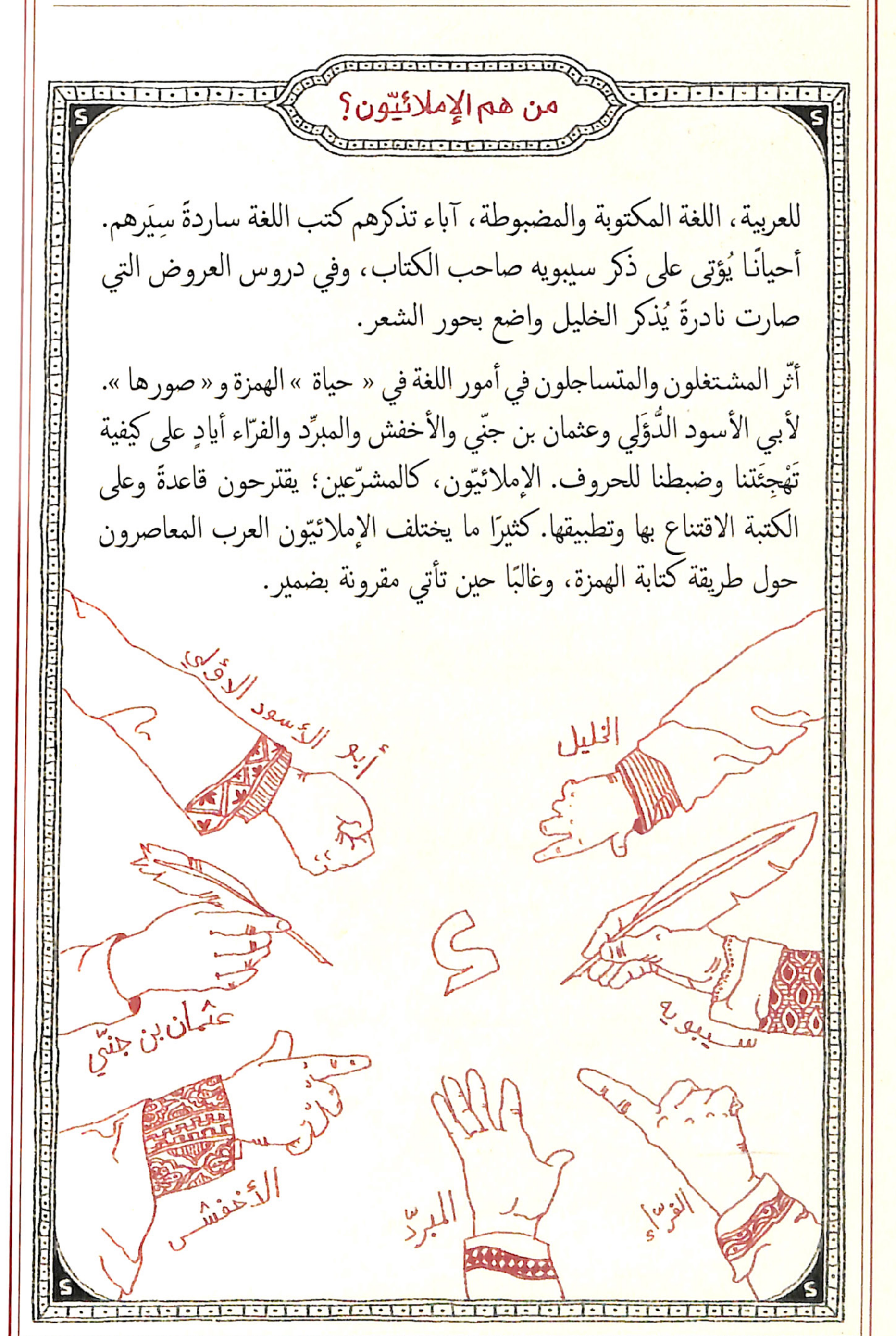
قالت، وهي تبرح أرجوحتها، وتمشي الهوينا أمامه.

العارفون بعلم الحروف،
كعثمان بن جنّي وأبي
العبّاس ثعلب، يجزمون أنّ
الألف ليست حرفًا تامًّا.
فهذه العصا ا النّحيلةُ وهذا
الكرسيُّ غير المنقوط ى ،

من هم الإملائيّون؟

للعربية، اللغة المكتوبة والمضبوطة، آباء تذكرهم كتب اللغة ساردةً سِيَرهم. أحيانًا يُؤتى على ذكر سيبويه صاحب الكتاب، وفي دروس العروض التي صارت نادرةً يُذكر الخليل واضع بحور الشعر.

أثّر المشتغلون والمتساجلون في أمور اللغة في « حياة » الهمزة و« صورها ». لأبي الأسود الدُّؤَلي وعثمان بن جنّي والأخفش والمبرِّد والفرّاء أيادٍ على كيفية تَهْجِئَتنا وضبطنا للحروف. الإملائيّون، كالمشرّعين؛ يقترحون قاعدةً وعلى الكتبة الاقتناع بها وتطبيقها. كثيرًا ما يختلف الإملائيّون العرب المعاصرون حول طريقة كتابة الهمزة، وغالبًا حين تأتي مقرونة بضمير.



هل تستطيع أنت أو غيرك
النطق بهما إن لم أجلس أنا
تاجًا لهما ؟

حاولْ ، أرجوك أن تحاول .
كيف تُلفظ هذه البانة
النحيلة ا ؟ وهذه البطّة
البيضاء ى؟ ألا تشبه البطّة؟

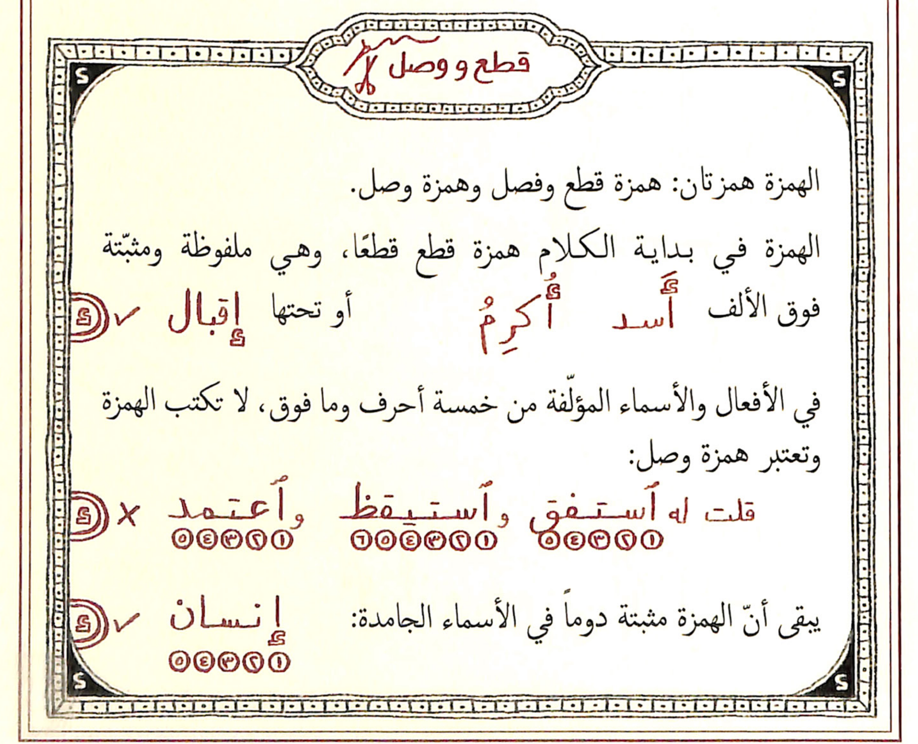
هذه الممشوقة كثيرًا ما
تظهر معي في أوّل الكلام ،
تتبختر وأنا متربّعة على قمّة
رأسها الأصلع !

حينها أكون في واحدةٍ
من أبهى صوري. ما رأيك بي
ممتشقةً هذا الصّولجان؟
ما رأيك بنا معًا؟

ألسنا آية في الأناقة والتغندر؟

بدر، بدر، أتحبّ صوري
الأخرى؟ ما رأيك بي فارسةً
على صهوة الحروف الجامحة؟
ما رأيك بي بوهيميّةً تفترش
الأرض؟

مسفارة أنا، طيّارة، خفيفة.
تتركني هنا فتجدني هناك.
مرّة على سنام الواو، وأخرى
في وثارة الياء، وثالثةً في
تراب الأسطر. انظرْ إلى ألبوم
صوري. تعال نتفرّجْ معًا.



قطع و وصل

الهمزة همزتان: همزة قطع وفصل وهمزة وصل.

الهمزة في بداية الكلام همزة قطع قطعًا، وهي ملفوظة ومثبّتة فوق الألف أَسد أُكرِمُ أو تحتها إِقبال

في الأفعال والأسماء المؤلّفة من خمسة أحرف وما فوق، لا تكتب الهمزة وتعتبر همزة وصل:

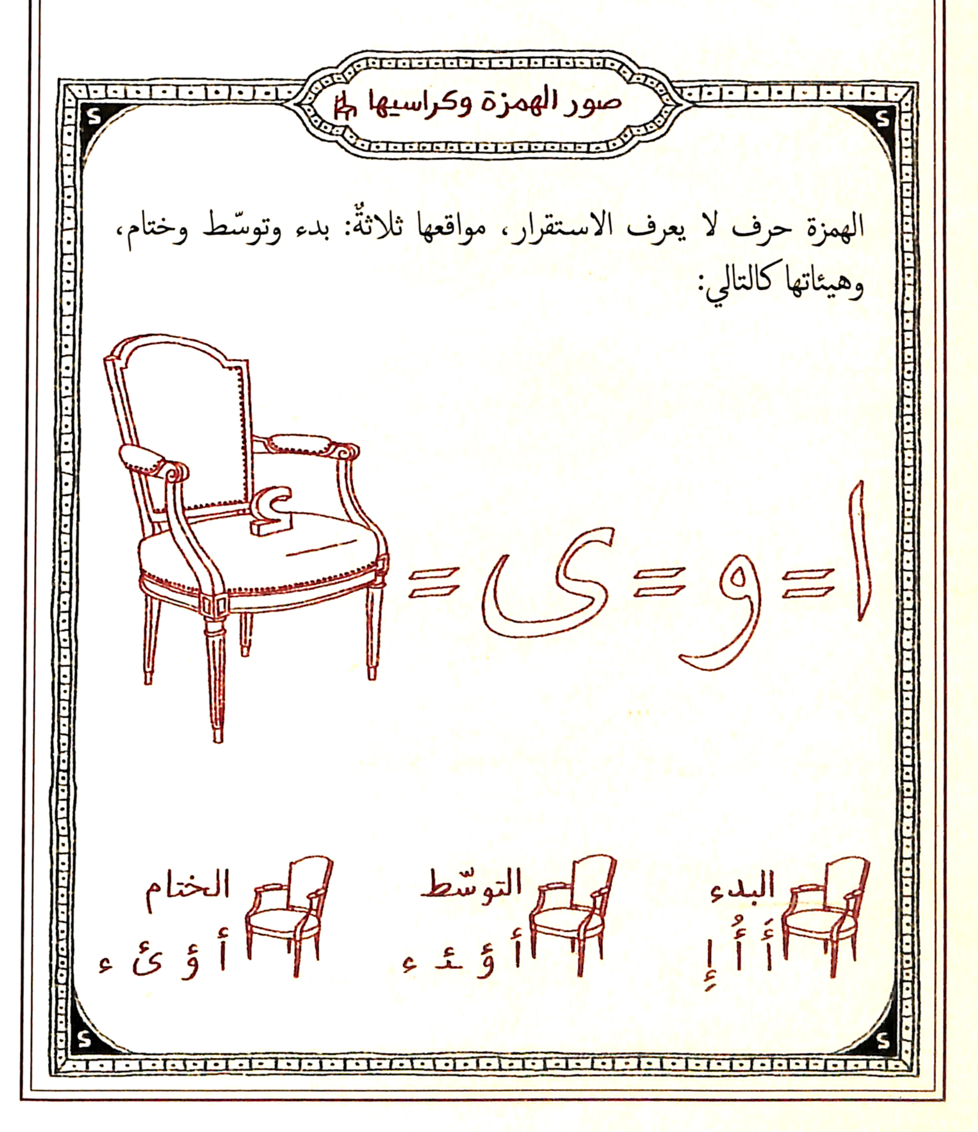
قلت له أَستفق وأَستيقظ وأَعتمد ✗

يبقى أنّ الهمزة مثبتة دوماً في الأسماء الجامدة: إِنسان

وجلسا جنبًا إلى جنب يتفرّجان على مجلّد ضخم رُسمت فيه همزاتٌ لا تخطر ببال. همزاتٌ، تفنّن الخطّاطون في رسمها، همزاتٌ على مدّ الخيال!

صور الهمزة وكراسيها

الهمزة حرف لا يعرف الاستقرار، مواقعها ثلاثةٌ: بدء وتوسّط وختام، وهيئاتها كالتالي:









لم يقتنع الأستاذ ميخائيل، مدرّس لغة الضاد، وقفا نَبْكِ ويا عاقد الحاجبين، في اليوم التالي، بنظريّات بدر وبدفاعه عن الهمزة الوثّابة!

إتّهمه ببثّ الشائعات، وفرض عليه كتابة قاعدتها، من جديد، مئة مرّة!

تجهّم بدر، وأخذ يحدّثها في سرّ نفسه: « من أجلك، يا آدم الحروف وحوّاءَها أُعاقَب. أنتِ يا صديقتي خطيئَتيَ الأصليّة! »

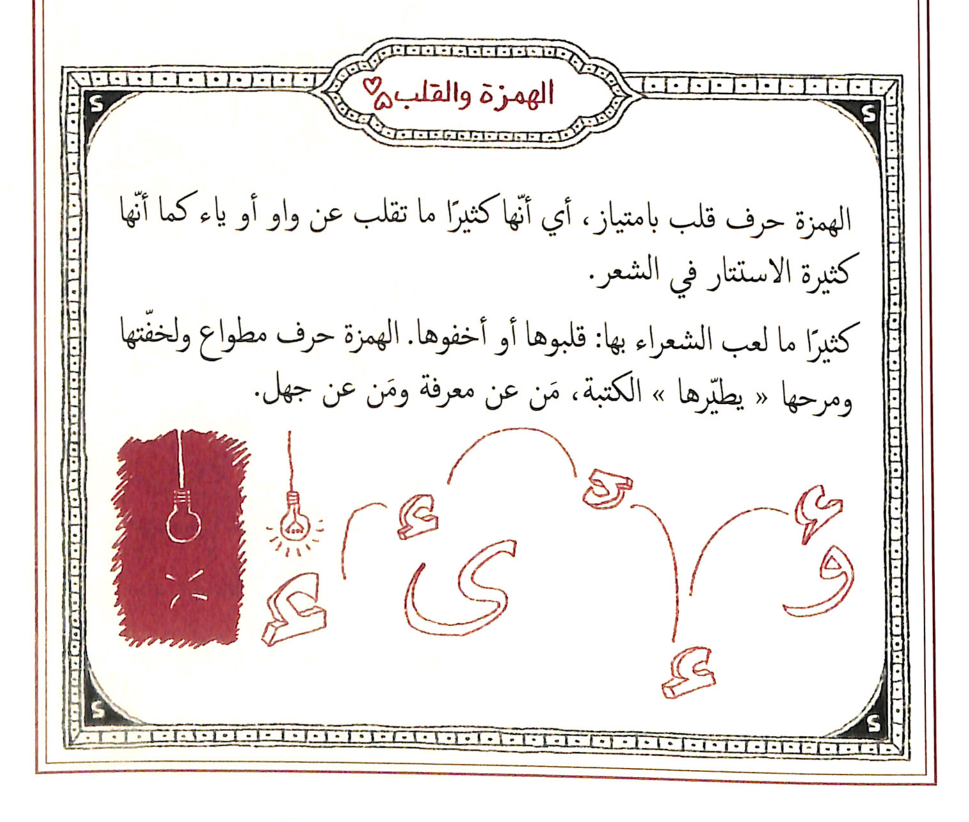
ولمّا التقيا في المساء وهو يحبّر قِصاصه، حاولت اللعوبُ أن تخفّف عنه.

لا تزعلْ من أستاذ العربيّة ولا من أيّ أُستاذ. لا تزعلْ.

أفانيني كثيرةٌ. ولا أقولها
تبجّحًا بل ألمًا. من جهة
أخرى، أنا حيّة، أليفة،
لاهية. هل لاحظتَ أنّني
أُحبّ الاَستتار والتخفّيَ
وَالطيران.

قبل أن تولدَ بمِئَات السنين،
اَتّفقت مع الأحرف زملاْئِي
ومع الحركات وأهل اللغة
على شروط لَعِبِنا. أنا
الألعب بين الحروف!

أنا في كاس مختفية ، وفي كأس ظاهرة . أنا في رديّة مُختَبئَة وفي رَدِيْئَة ظاهرة . والأمثلة كثيرة . أَحبّها إلى قلبي سبا وسبَأ . هل نزور معًا مملكة سبأ ؟



الهمزة والقلب٥

الهمزة حرف قلب بامتياز، أي أنّها كثيرًا ما تقلب عن واو أو ياء كما أنّها كثيرة الاستتار في الشعر.

كثيرًا ما لعب الشعراء بها: قلبوها أو أخفوها. الهمزة حرف مطواع ولخفّتها ومرحها « يطيّرها » الكتبة، مَن عن معرفة ومَن عن جهل.

أَنقلب دلا لًا ويلتهمني
زملائي محبّة! أنتِ أطيبنا.
هذا ما يقولونه لي. ألعب
مع الحروف والحركات
والكتبة. الشعراء أحبابي،
يقلبونني فأنقلب. ونضحك
معًا.

أرجوك ٱبتسمْ. لا عليك.
سأكتب معك ما تسبّبتُه
لك من قِصاص.

وأخذت معذّبته المشاغبة تكتب معه. تكتب وتدندن. أمّا هو فأخذ مسطرة خشبية وأضاف إليها همزة كرتونية كان قد رسمها ولوّنها وقصّها. ونظر إلى سميرته وقال:

« هذا مهمازي! به سأحثّك على البوح بأسرارك. قولي لي ما وراءك. ما وراء كلّ هذا الجمال أيّتها الشيطانة؟ أخبريني قصصك. أريد أن أسمع ».



ما هو المهماز؟

المهماز آلة مسنّنة صُنعت بأشكال وأحجام متعدّدة للحثّ على السير. بعضها ثُبّت في مؤخّر خُفّ الخيّال، وبعضها الآخر يدويّ بأشكال متنوّعة.

المهاميز في المعنى المجازي هي المحفّزات!

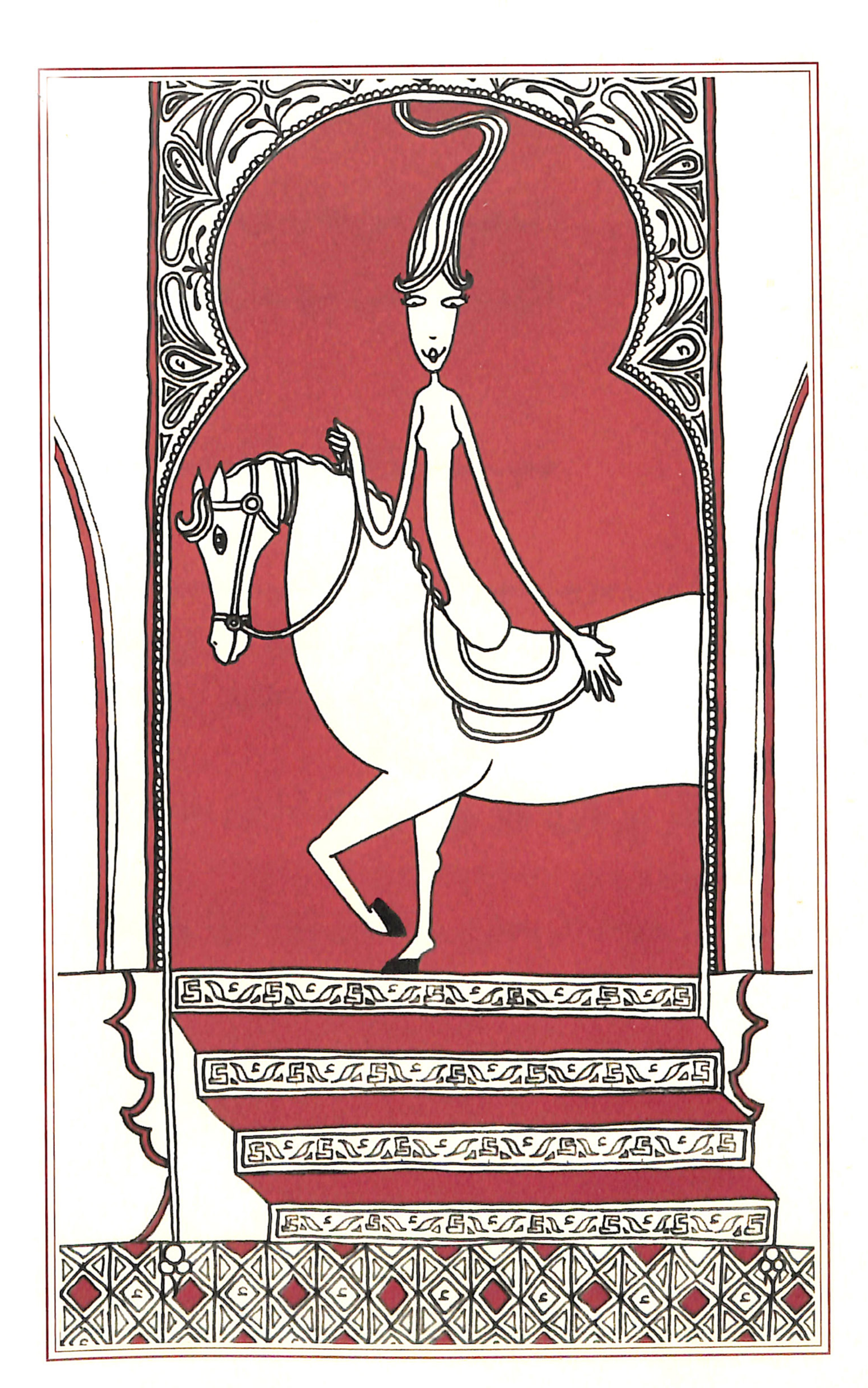
الـمهماز من عائِلَتِي يا بدر.
الهمزة تحبّ مهمازها!

تعال أعرِّفْك بشقيقاتي.

وبغمضة عين، خرجت الهمزات من كلّ الكتب، وأَحطن ببدر وصديقته. مَنْ على صهوة واوها، من على ألفها، ومَنْ في فخيم يائها، ومَنْ محمولة على نبرة، ومن فالتة من عقالها.

أَحبّ بدر مِهرجانهنّ: لُؤْلُؤٌ بُؤْبُؤٌ سُؤْدُدٌ. أمّا أطرفهنّ فالمتَكأْكِئَة والموْؤُوْدَة.
همزات، همزات لا يخطرن ببال. جِئْن إِليه أَسرابًا وأَسلمنه زمامهنّ.







يومًا بعد يوم، صار بدر مشهورًا في مدرسته. يبشّر بهمزته وقواعدها حتّى لُقّب بمجنونها. مجنون الهمزة، قتيلها وطبيبها المداوي، بهذه التسميات ذاع صيته. فقصده السائلون والسائلات عن قواعدها، وما أكثرهم!

ذات مرّة، وهو مستغرق يصغي إلى درس تاريخ شيّق، استدعاه المدير وقد سمع أنّه صار الأضلع في تَهْجِئَتها، كي يستشيره في شَأْن بضع همزات كواسر!

« همزتك هذه حمّالة أوجه. تغيب وتُغَيَّب. تستضعف وتستنسر. تعذّب وتتعذّب. أهي فعلًا كلّ هذا وأكثر؟ ما رَأْيك يا بدر لو تحتفل مدرستنا بالهمزة؟ أنت منذ الآن مكلّف بمهمّتين: التحضير لهذا الحفل وإِنجاحه. ما رَأْيك؟ ستتصالح مدرستنا مع همزتك البهلوانية الدافعة بأجيال من الكتبة إلى شِباك خطئها ».

خرج بدر من مكتب المدير مُتَفَكِّرًا شاعرًا بِعِبْءٍ ما أُلقي على كتفيه. ما العمل الآن والهمزةُ، قلبًا وقالبًا مَسْؤُوْلِيّته؟ إنّه منذ اليوم وكيل هذا الحرف الجميل، حرف « أنا هويت وابتديت ».

تفكّر بدر أنّه مذ لقيها تتمرجح، مذ بشّر بأولويّتها في الأبجديّة، مذ سعى لترويض قواعدها، وهو على عتبات بَدْءٍ، أجمل ما فيه اسْتِئْنَافُه، وتيقّن الصبّ أَنّ الهوى، هواه هو، أُفق شاسع يجافي النّهايات.

والبَدْءُ يشغله، بَدْءُ الحبّ، خطر له أنْ يدوّن الكلمة الأخّاذة بهمزتها البوهيميّة المتطرّفة، همزة بدء تفترش الأرض.

خاطب بدر همزته، متيقّنًا أنّها دومًا جواره: « أرأيت، انتدبني المدير كي أحتفل بكِ. لا عليكِ. لا تقلقي. عندي خطّة. لن أُخْطِئَ أو يُخْطِئَ أقراني في كتابتك. لن تنشعر كِبْرِياؤُك بعد اليوم. سأجد حلولًا لقواعدك المعقّدة. ستساعدينني. أليس كذلك؟ ».

ثمّ تابع وهو يغمزها متهكّمًا من بهلوانيّاتها:

« أيّتها الرشيقة، الحقّ أيضًا عليكِ. لم تقولي لنا قبل اليوم إنّك بهذه العظمة! قبل أن نتعارف كنت أظنّك مجرّد شَيْءٍ صغير لا لزوم له! قواعدك تبدو سهلة في الكتب. أمّا حين يصل الأمر إلى تطبيقها، فحدّث ولا حرج.
ليست القواعد بالنظريّات والنيّات، بل بتطبيقها. التطبيق! إنّها كلمة السرّ ».

وبدر في طريق عودته إلى حصّة التاريخ، اعترضه درج نُقشت عليه همزات من أَحجام مختلفة، فصعده وهو لا يعرف إِلى أَين سيفضي به. وإِذ بحصان أَدهم على ناصيته همزة بيضاءُ، أمّا سرجه فمطرّز بكلمات مهموزة. ومَنْ على صهوته؟ صديقته بالطبع.

هيّا اركبْ.

قالت.

وانطلق المهر بهما في رُبع من أَرباع اللغة خالٍ.
هنا حروف مهشّمة، وقواعد صَدِئَةٌ وضَمَائِرُ تَائِهَةٌ وجمل غير مكتملة، ومحابر عملاقة وحواسيب هرمة. ثمّ لاحت واحة

تستحمّ في بحيرتها كلمات جميلة، وجمل لم يتمكّن من تَهْجِئَتِها كلّها.

ما أَعْجَبَهُ مشهدًا! لم أتخيّل أنّني سأزور معك، بواطن اللغة! الحياة جوارك دهش لا ينقضي!



الهمزة في زمن الكومبيوتر

دخل الكومبيوتر أو الحاسوب حياة الكتبة العرب وصاروا يجمعون أحرفهم بأطراف أصابعهم، متخلّين عن الأقلام والأوراق.

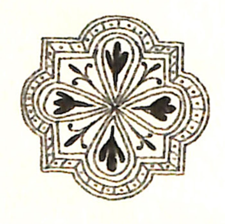
لحداثة وصولهم إلى القارّة التقنية لم يتعرّف بعضهم، حتّى اليوم، إلى مفاتيح أجهزتهم الذكية. وما عليهم إلّا سُؤال ذوي الخبرة.

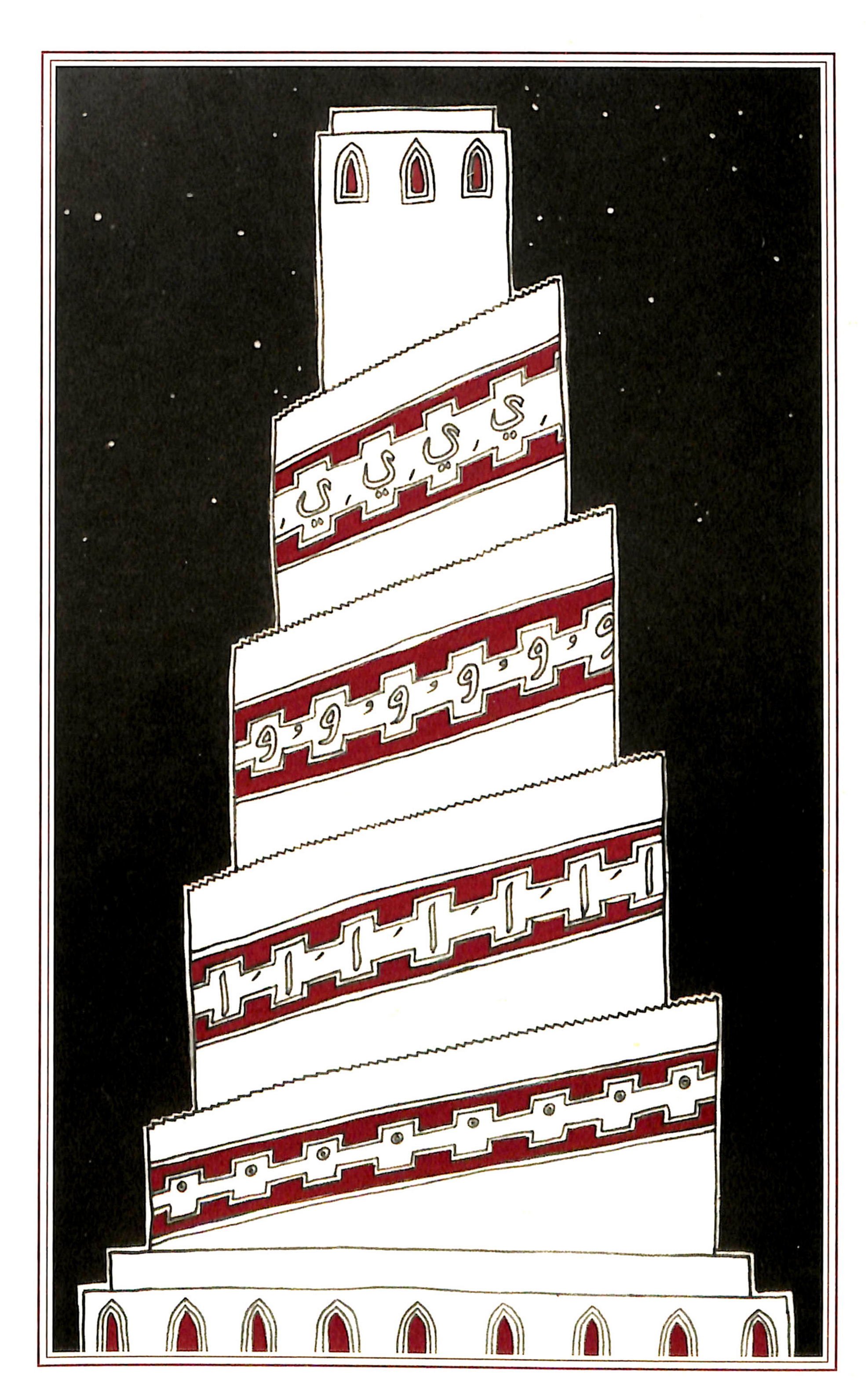
عند هذا الحدّ انقشع الحلم وسمعها تقول:

كواليسنا، لا ننشرّعها لكلّ عابر سبيل. الأسرار لمن يستحقّها.

وغمزته بما معناه:

ألــيس كذلك؟







بدر العائد إلى حصّة التّاريخ من رحلته الشائقة، بات مُتَأَكِّدًا أنّه قاب قوسين أو أدنى من فضّ أسرار كتابة الهمزة.

سهر تلك الليلة. نظر من شبّاكه إلى السّماء، فلم ير نجومًا بل همزات وحركات.

وصلت الفتحة مع السيّدة: أ

وجاءت الضمّة مع السيّدة: ؤ

وجاءت الكسرة مع كرسي الياء: ئـ ئ

أمّا السكون

هذه الكرة البلّورية، فرآها تسير الهوينا وسَط موكب مهيب!

إنّها القائِد بلا ريب!

تلك الليلة، على مَرْأًى ومسمعٍ من كلّ من كان ساهرًا، تبارت

الحركات كما يفعلن منذ قرون. فازت الكسرة وياؤها بقصب السّبق. تلتها الضمّة وواوها، أمّا الفتحة وألفها فتمسّكتا برقمهما المفضّل: المرتبة الثالثة. وخارج المسابقة تبختر السكون واثقًا من تواضعه!
همزته الساهرة جواره تصفّق لزميلاتها.

لا أملّ من مشاهدة الحروف والحركات وهنّ يتنافسن في حلبة اللغة، أو قل بستانها.

أخذ بدر دفتره وكتب: « أنت إذًا حرف. أنت أوّل حرف في الأبجديّة. والحروف في لغتنا تقترن بالحركات علمًا أنّ الضمّة واو صغيرة والفتحة ألف صغيرة والكسرة ياء صغيرة والسكون الجليل هو قائد الجوقة. أيناسبك هذا الكلام؟ »

يناسبني.

« الحروف والحركات لا تطيق الوحدة بل تَتَآلف وتتحابّ فتصير كلمات. والكلمات أسماك لا تحيا إلّا في ماء جمل نُؤَلِّفها ونصب أعيننا ما ستثيره من معنًى. هل توافقين ؟ ».

وكيف لي أن أعارضك يا بدر ؟ الألف لا تتصدّر الكلام إلّا معي: تجْلسني مرّات على قمّة رأسها ومرّات أكون لأخمص قدميها خلخالاً.
القمّة مقرونة بفتحة أو ضمّة وأخمص الخلخال بكسرة.
ليست الحياة كلّها فتحات وفتوحات وضمّات يا سيّد بدر ! الكسرات والكسور والخلاخل

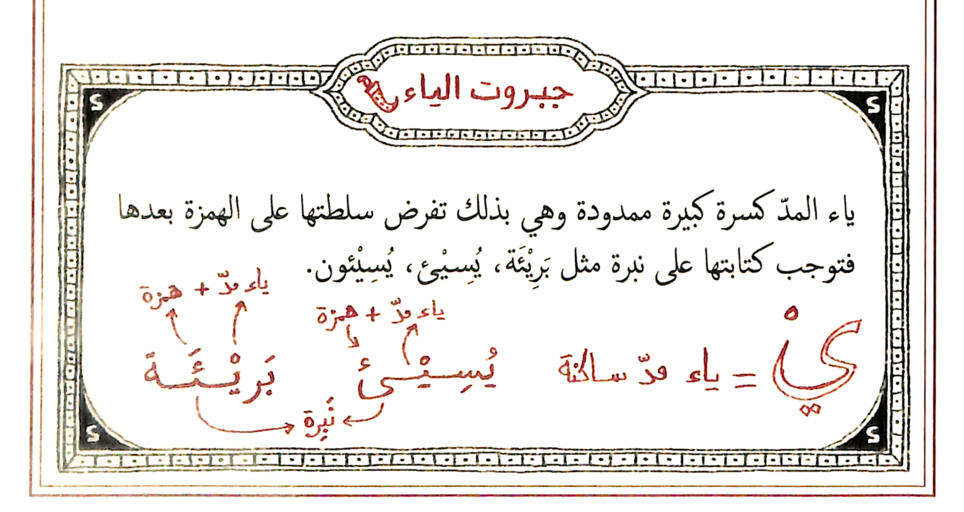
رائِجة أيضًا. في إذًا أنا في الأخمص وفي أن تراني في القمّة. يوم لي ويوم عليّ!

« وعلينا حين تستأسدين وسط الكلمات. فتلتهمين أخضر القواعد ويابسها وتدخلين الأستاذ ميخائيل في ليل من التلعثم ».

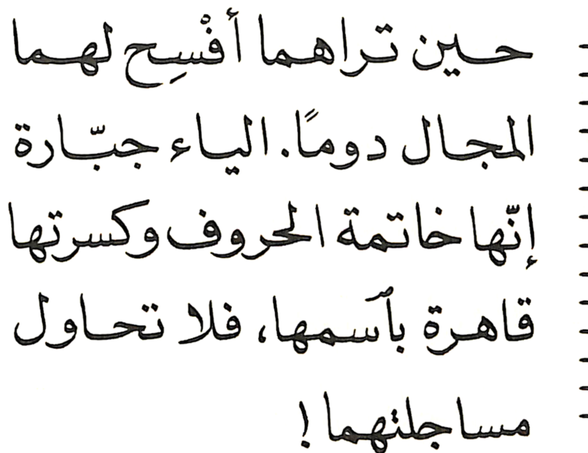


أخرجت الهمزة، سليلة شياطين الشّعر والسّحرة والعطّارين، أوراقًا من أكمامها وأخذت تشرح لبدر ما رُسِم عليها:

الحركات يا صديقي هنّ،
اختصارًا لقصّة طويلة،
موسيقى اللغة، ولكلٍّ منهنّ
مكانة: الكسرة قرينة الياء
احذر دومًا السيّدة الياء،
من مسك ختامها، من
مخالبها.






حين تراهما أفْسِح لهما المجال دومًا. الياء جبّارة إنّها خاتمة الحروف وكسرتها قاهرة بٱسمها، فلا تحاول مساجلتهما!



الضمّة وواوها مشاكستان أيضًا وتأتيان في مقاييس القوّة اللغوية بعد الياء وكسرتها.



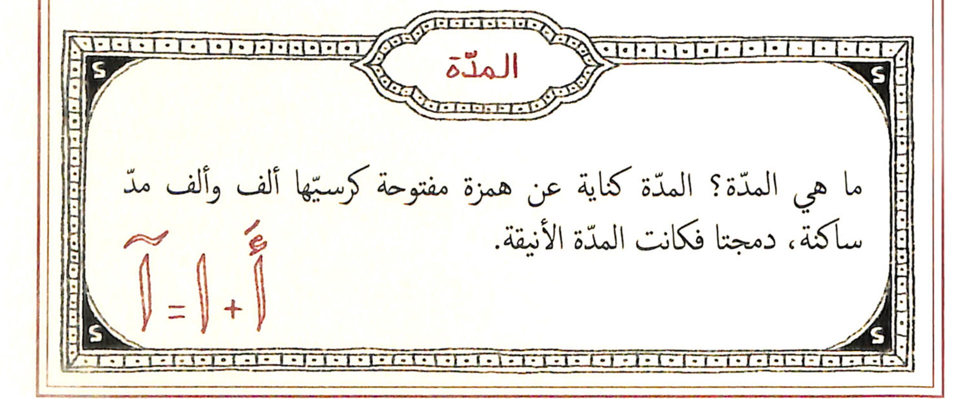
أمّا الفتحة، هذه الألف الصّغيرة، فلها المرتبة الثالثة.

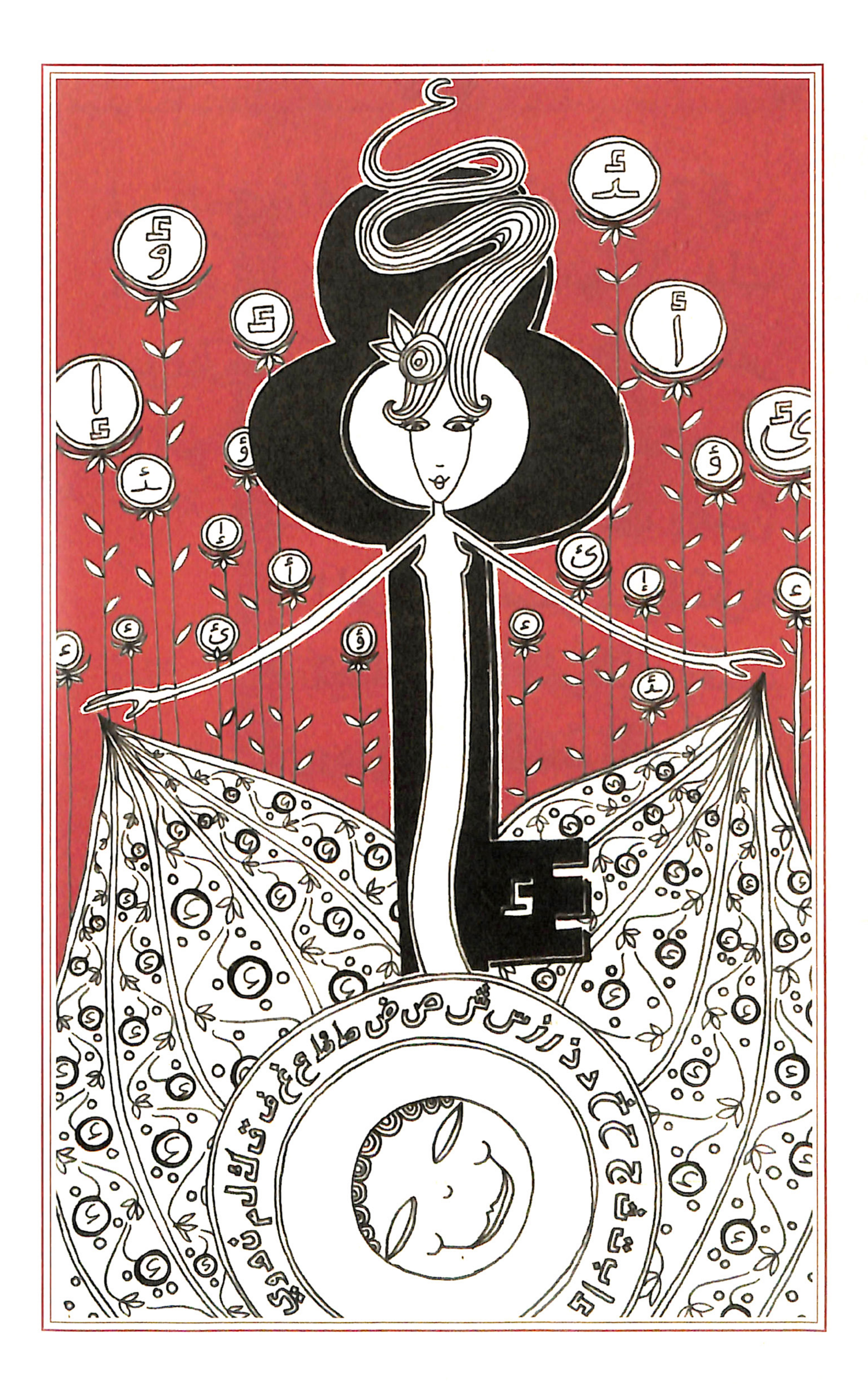
حين تستضيفني كلمة كي
أستقرّ في أحضانها أريدك
أن تهمز بديهتك وأن تتذكّر
الحركات السبع: الفتحة،
الكسرة، الضمّة، وهنّ
الحركات الصغرى، والسكون،
تضاف إليها الحركات الكبرى،
وهنّ ياء المدّ الساكنة
وواو المدّ الساكنة
وألف المدّ الساكنة.

الحركات السبع:

الحركات الصغرى

الحركات الكبرى







حُروف المَدّ السّاكِنة

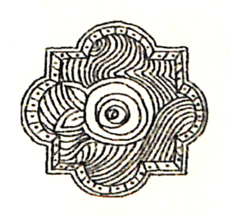
ماذا؟ اعترض بدر.

« ماذا تقولين؟ ماهذه البدعة؟ اقتنعت بك سيّدةً لحروفنا وأثرت زوبعة في الصفّ. والآن تخرجين عليّ بقصّة الحركات السبع! أتتفاءلين بهذا الرقم؟ أتفضّلينه على الأربع الحركات المتعارف عليها؟ هاتي ما عندك، يا مشاكسة ».

ما عندي سيد هشك وسوف أحتفظ به لنفسي ليلةً إضافيّة. حان وقت النوم، أليس كذلك؟

لم يعترض الفتى.

ولمّا صار في السّرير، اطمأنَّت صديقته ونثرت عليه همزات من كل الألوان والأشكال، لمعنَ التماع النجوم وزقزقن في أحلامه.

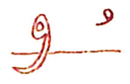


لناظره ومنتظره لا بدّ أنْ يكون الغد قريبًا وهكذا كان.
أمضى الفتى يومه في المدرسة ولمّا عاد إلى دفاتره نادى همزته:

« يا أيّتها المتمرجحة. يا مدخلة أهل الإملاء في أشراكك. هل من تتمّة لقصّة حركاتك السبع؟ ».

وكأنّهما لم يفترقا نهارًا كاملًا، وصلت حبل كلامها:

إسمع، توافقنا أمس أنّ الياء صديقة الكسرة والواو شقيقة الضمّة والألف أليفة الفتحة وأنّ لهذه الأحرف وضعًا خاصًّا. صحّ؟ هذه الأحرف التي تبدو لك ولغيرك لطيفةً عاديّة قد أمرضت النحويين حدّ أنّهم


أسموها حروف العلّة

اسمع وأصغ: الياء الساكنة المسبوقة بكسرة والواو الساكنة المسبوقة بضمّة والألف الساكنة هنّ أحرف مدّ، أي أنّ اللغة قد اختارتهنّ لمدّ الصوت لا أكثر. للوهلة الأولى يظنّهنّ القارئ حروفًا عادية ساكنة. لكنّهنّ في واقع الحال حركات كبيرة يؤازرن الأربع المعروفات!

فِـي
بُـوْ
سَـا

حروف مدّ

أي حركات كبيرة

« أتقولين إنّ ياء المدّ وواو المدّ الساكنة والألف مجرّد حركات كبيرة؟ »

لم تجبه المشاكسة، وقفت أمامه وأرته ما هي قادرة عليه من حركات جمباز.

بالنسبة للهمزة المتوسّطة
فهذا ما عندي لك: أوّلاً
ستنظر إلى حركة الهمزة
وحركة ما قبلها، وستختار
إجلاسها على ما يتجانس
شكلاً مع الحركة الأقوى،
متذكّرًا أنّ للياء سطوةً
وامتيازاتٍ، أفليست هي
سيّدة الختام؟

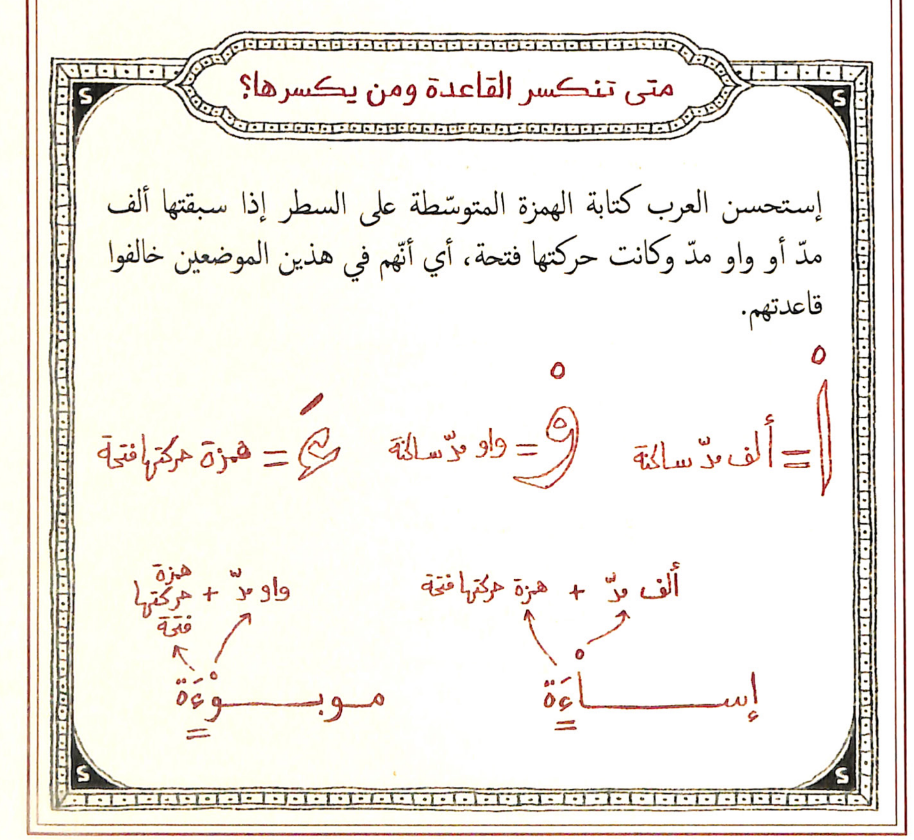
لا تنسَ تَفَقُّدَ حروف المدّ
الساكنة.

بالنسبة للمتطرّفة انظر إلى
حركة ما قبل الهمزة، لا تنس
أنّ الضمائِرجُزْءٌ لا يتجزّأ
من الأسماء والأفعال.

أخيرًا تذكّرْ أنّ أجدادنا
الإملائِيّين سمحوا لأنفسهم
بالخروج بين الفينة والأخرى
عن القاعدة الصّارمة. نعم،
لكلِّ قاعدة مَنْ يكسرها.
لكلِّ قاعدة يا بدر،
لكلِّ قاعدة بلا استثناء،
استثناءَاتُها! وهذا الكلام

النظري سيحتاج حتمًا إلى تطبيق.

أمّا الآن فما رأيُكَ بجولة في الحديقة؟



متى تنكسر القاعدة ومن يكسرها؟

إستحسن العرب كتابة الهمزة المتوسّطة على السطر إذا سبقتها ألف مدّ أو واو مدّ وكانت حركتها فتحة، أي أنّهم في هذين الموضعين خالفوا قاعدتهم.

سارا بين الأشجار، تأمّلا الليل وقطف لها من شجرة الفتنة ورودًا بيضاء زيّنت بها شعرها.

لم يظنّ بدر، على الرغم ممّا تعلّمه من همزته، أنّه قد صار ضليعًا. سألها، وموعد المهرجان يدنو، أن تخبره عن علاقتها بالضمائر. « ما قصّتكِ معهنّ؟ أهنّ خطرات فعلًا؟ ».

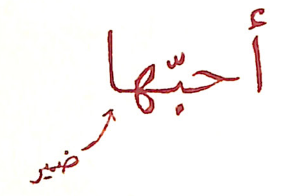
إحترس منهنّ دومًا، فلهنّ
أحكام، وبيني وبينهنّ
صولات وجولات. هل
لاحظت أنّهنّ يدخلن
على الكلمات والأفعال
فيصيّرن الهمزات المتطرّفات
متوسّطات وفق شروط
لا تحتمل النقاش؟



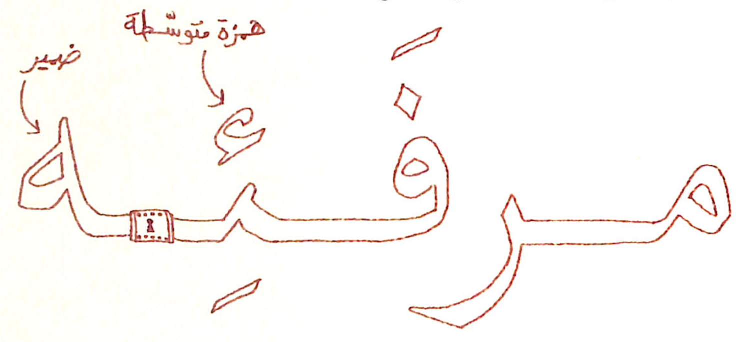
العربيّة تحبّ ضمائرها، والضمائر المتّصلة تظهر بشكل حروف تدخل على كلّ كلمات اللغة من أفعال وأسماء وحروف:

بيته أحبّها فيه

ضمير ضمير ضمير



حين يدخل الضمير على كلمة ما يصبح، برأينا، جزءًا لا يجزّأ من الكلمة فتعامل الهمزات حينها كهمزات متوسّطة.



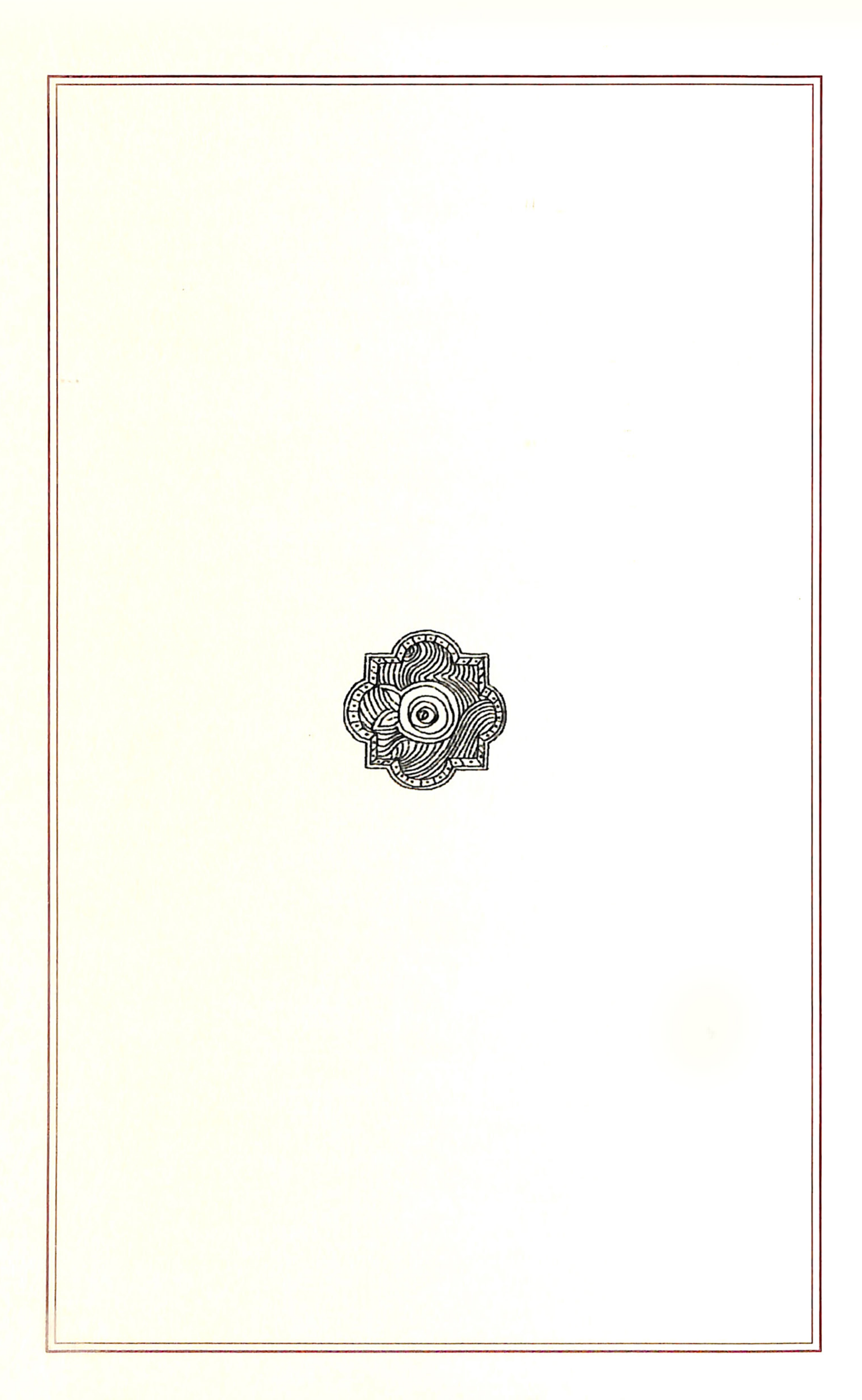
بعض العاملين في العربية المعاصرة يحتجّون على هذه القاعدة، ويتصرّفون حيال الكلمات المهموزة التي دخلت عليها الضمائر بشكل استنسابي.

وطلبت منه أن يكتب: لقاؤُها، لقاءَها ولقائِه. ثمّ أملت عليه جملًا صعبة تعجّ بهمزات لم يعتدْ عليها. كابد وتعب بيد أنّه اقتنع على مضض بإملاءات بعض الكلمات.

لمّا رضيت الهمزة عن صاحبها أخرجت من كمّها مِفتاحًا ذهبيًّا وقدّمته له:

إنّه لك. إنّه مفتاح بستان الهمزات. تدخله وتقطف منهنّ ما تشاء بحسب ما توافقنا عليه. أهلًا وسهلًا بك عندنا يا بدر الهمزات!

وعادت تتمرجح في دفاتره...







كخليّة نحل عمل بدر وزملاؤه على تحضير ملصقات عملاقة عُلّقت في ملعب المدرسة، داعية جميع الطلّاب والأساتذة للمشاركة في مهرجان الهمزة وقد كُتب عليها:

الهمزة متألّقة في مدرستنا أو الهمزة حوّاء الأحرف وآدمها.

بالاتفاق مع الأستاذ ميخائيل صاغ بدر وصايا الهمزة تلك التي تعلّمها منها وقرّر توزيعها على شكلِ منشورٍ على كلّ مَنْ سوف يشارك في الاحتفال. لو قُيّض له لاستأجر طوّافة لنثر ما جمّع من معلومات فوق المدينة. ألا تستحقّ لُقاه الخطيرة أن تُعمَّم ؟

مساء ذلك اليوم المُنْبِئ بدخول الصّيف، لبست المدرسة حلّة العيد ووصل المدعوّون والمدعوّات من أهلٍ وأساتذةٍ وتلاميذَ، فرادى وزرافات.

فرقة الموسيقى تعزف من على المنصّة الرئيسية مقطوعات شائعة ألفتها الآذان، والجميع يتساير ويتضاحك بانتظار الشروع في الحفل.
لمّا تيقّن المدير أنّ النصاب مكتمل، وقف على المنصّة أمام مكبّر الصوت، داعيًا الجميع إلى لحظة إصغاء.

بكلمات قليلة رحّب بالحاضرين والحاضرات: « كلّ عام مدرسيّ وأنتم بخير. سنحاول انطلاقًا من هذا العام إرساء تقليد فحواه الاحتفال بكاتب، أو كتاب أو حرف. وهذا العام، كما تعرفون جميعًا، سنحتفل بعفريتة عاصية، سنحتفل بالهمزة ».

صفّق الحاضرون طويلًا للمدير الذي نادى أساتذة اللغة العربية، فتجمّعوا حوله، وأعلن الأستاذ ميخائيل أنّهم: « ابتهاجًا بسيّدة الحروف الهمزة، ووداعًا لعام دراسيّ شائق » سيغنّون للطّلّاب والأهل أغنية من وحي الهمزة. وعلى لحن معروف غنّوا متصرّفين بكلمات محمّد يوسف القاضي، وألحان سيّد درويش: « أنا هويت وابتديت ليه بقا ».

والمدير يشكر أساتذته، طلب من بدر أن يوافيه إلى المنصّة. أثنى على مثابرته غامزًا من قنوات القِصاصات المرهقة التي أُرغم

على كتابتها، معلنًا أن الحفل هذا يدين له، وأنّ المدرسة قد قرّرت منحه جائزة المهماز الذهبي!

لم يصدّق بدر أذنيه. خفق قلبه حتى الإعياء. ولمّا طُلب منه ارتجال كلمة قال: « الشكر لها، للهمزة؛ ولكلّ من هوى وابتدأ، أهدي جائزتي ».

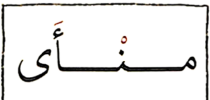





همزات متوسّطة تطابق القاعدة

تخضع للحركة الأقوى

سَأَل	منأى
حركتها الفتحة، ما قبلها فتحة	حركتها الفتحة، ما قبلها سكون
المعادلة: ـَـ و ـَـ = أ	المعادلة: ـَـ أقوى من ـْـ = أ



مَأْزق
حركتها السكون، ما قبلها فتحة
المعادلة: ـَـ أقوى من ـْـ = أ



ـأ أ

فُؤُوس	لَؤُم	يشْؤُم
حركتها الضمّة، ما قبلها ضمّة	حركتها الضمّة، ما قبلها فتحة	حركتها الضمّة، ما قبلها سكون
المعادلة: ـُـ و ـُـ = ؤ	المعادلة: ـُـ أقوى من ـَـ = ؤ	المعادلة: ـُـ أقوى من ـْـ = ؤ

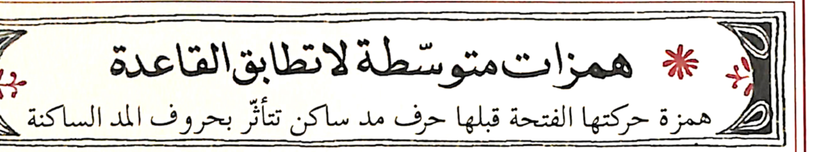
فُؤَاد	بُؤْس
حركتها الفتحة، ما قبلها ضمّة	حركتها السكون، ما قبلها ضمّة
المعادلة: ـُـ أقوى من ـَـ = ؤ	المعادلة: ـُـ أقوى من ـْـ = ؤ

ؤ

هادِئِين	رُئِي	لَئِيم	أسْئِلة
حركتها الكسرة، ما قبلها كسرة	حركتها الكسرة، ما قبلها ضمّة	حركتها الكسرة، ما قبلها فتحة	حركتها الكسرة، ما قبلها سكون
المعادلة: ـِـ و ـِـ = ـئـ	المعادلة: ـِـ أقوى من ـُـ = ـئـ	المعادلة: ـِـ أقوى من ـَـ = ـئـ	المعادلة: ـِـ أقوى من ـْـ = ـئـ

دافِئُون	رِئَة	مِئْزر
حركتها الضمّة، ما قبلها كسرة	حركتها الفتحة، ما قبلها كسرة	حركتها السكون، ما قبلها كسرة
المعادلة: ـِـ أقوى من ـُـ = ـئـ	المعادلة: ـِـ أقوى من ـَـ = ـئـ	المعادلة: ـِـ أقوى من ـْـ = ـئـ

ـئـ ئـ



* همزات متوسّطة لا تطابق القاعدة

همزة حركتها الفتحة قبلها حرف مد ساكن تتأثّر بحروف المد الساكنة

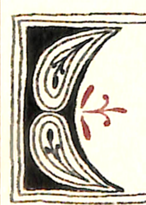
إســـــاْءَة	موبــــــوْءَة	خطــيْـئَة
حركتها الفتحة، ما قبلها ألف مد ساكنة	حركتها الفتحة، مـا قبلها واو مد سـاكنة	حركتها الفتحة، مـا قبلها ياء مد سـاكنة
المعادلة: ـَـ أقوى من ـْـ من حقّها أن تكتب أ	المعادلة: ـَـ أقوى من ـْـ من حقّها أن تكتب أ	المعادلة: ـَـ أقوى من ـْـ من حقّها أن تكتب أ
كتبتِ علــى الأرض كسـرًا للقـاعدة نزولا عند إملاءات حرف المدّ السّاكن.	كتبتِ علــى الأرض كسـرًا للقـاعدة نزولا عند إملاءات حرف المدّ السّاكن.	كتبت علــى نبرة كسـرًا للقـاعدة ملاءمــة للياء، حرف المدّ السّاكن.



همزات متطرفة تطابق القاعدة

تخضع لحركة ما قبلها

بـــدْء	مـــرفَـــأ	بـــؤبُـــؤ	تــطــفِــئ
حركة ما قبلهـا سكون	حركـة مـا قبلها فتحة	حركـة مـا قبلها ضمّة	حركـة مـا قبلها كسـرة
المعادلة: ـْـ = ء	المعادلة: ـَـ = أ	المعادلة: ـُـ = ؤ	المعادلة: ـِـ = ئ

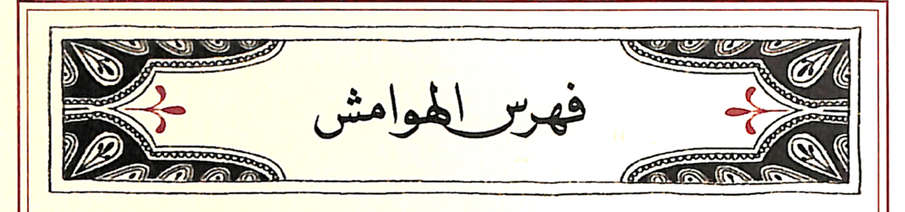


همزات متطرفة صارت متوسّطة لما دخلت عليها الضمائر

تطبّق عليها قواعد الهمزة المتوسّطة

* سخاْءَه	بـدْأَه	مـرفَـأَه	بـؤبُـؤَاه	تطفِئَان
سخاْؤُه	بـدْؤُه	مـرفَـؤُه	بـؤبُـؤُه	تطفِئُون
سخاْئِه	بـدْئِه	مـرفَـئِه	بـؤبُـئِه	تطفِئِين

فهرس الكتاب


فهرس الهوامش





دار الجديد

كتاب الهمزة

الهمزة.

أتستحقّ الهمزة، أوّل حروف الأبجديّة العربيّة، المتربّعة على قمّة الألف، الحرف الهاوي الذي لا نطق له، كتاباً يعين الكتبة على أمزجتها وإملاءاتها؟ هذا الكتاب المكتوب والمفكّر مليًّا به ـ رشا الأمير، والمخطوط ـ علي عاصي، والمرسوم ـ دانيال قطّار، بشغف ودعابة، هو الدليل القاطع على أنّ الهمزة، هذا الحرف الطائر المشاكس، أهل لكلّ اهتمام ورعاية.

كتاب الهمزة كتاب مفيد ولاه، أردناه عونًا قواعديًّا وإملائيًّا للكاتبين والكاتبات بلغة اقرأ، علّهم يكفّون عن سوء معاملتها. فلا حجّة، والكتاب في المتناول، من إلغائها أو إجلاسها حيث لا تريد لها اللغة.

رشا الأمير. روائيّة وناشرة، تتلمذت للعلّامة الشيخ عبد الله العلايلي والأستاذين لقمان سليم ومحمود عسّاف. اللغة واحد من مواضيعها الأثيرة، كما بدا جليًّا في روايتها يوم الدين الصادرة بطبعات عربيّة ستّ، وبترجمة فرنسيّة وأخرى إنكليزيّة.

دانيال قطّار. رسّامة وأستاذة جامعيّة، تعاونت مع دار الجديد، ووقّعت ـ رسمًا ـ كتاب البلد الصغير الصادر باللغة الفرنسيّة بطبعتين. لها مجموعة من الكتب المصوّرة. أنشأت صفحات كتاب الهمزة، وصارت ضليعة في أمزجتها وكتابتها.

علي عاصي. خطّاط محترف، تدين له دار الجديد بخطوط أغلفة أغلب كتبها. يدرّس الخطّ في الجامعة الأميركيّة اللبنانيّة، ويقيم محترفات يستفيد منها الواعون لأهمّيّة هذا الفنّ في حضارتنا. تواطأ مع الكاتبة والرسّامة فصارت ريشته لسان حال الهمزة، بطلة الكتاب.


9 789953 110844